İSLAM MEDENİYETİNDE

BAĞDAT

(MEDÎNETÜ'S-SELÂM)

ULUSLARARASI SEMPOZYUM

7-8-9 KASIM 2008

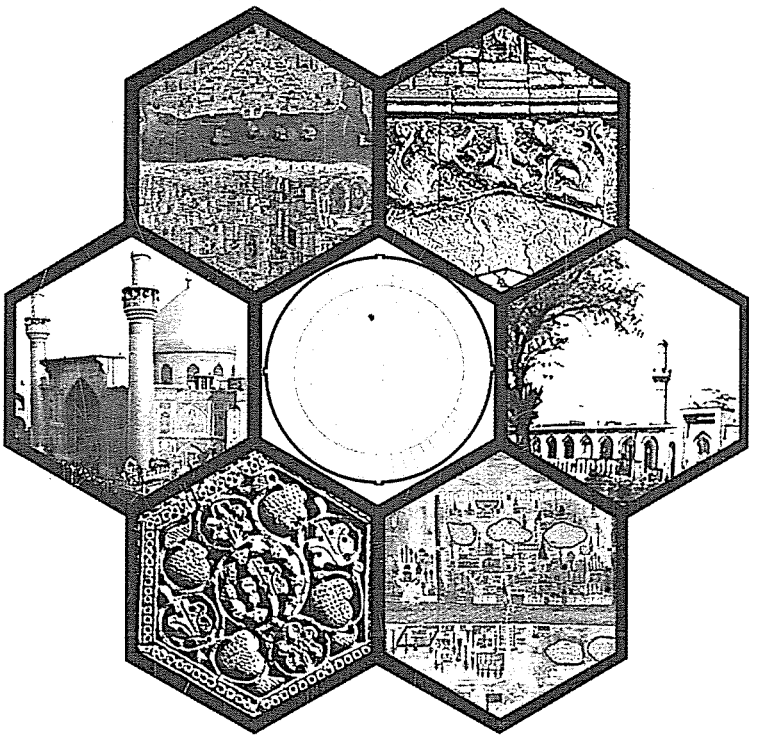

İLÂHİYAT FAKÜLTESİ

IRCICA
İSLAM TARİH SANAT VE KÜLTÜR ARAŞTIRMA MERKEZİ

Ümraniye Belediyesi

Marmara Üniversitesi, İlâhiyat Fakültesi, İslâm Tarihi ve Sanatları Bölümü
Marmara University, Faculty of Theology, Department of Islamic History and Arts
&
İslâm Konferansı Teşkilatı, İslâm Tarih, Sanat ve Kültür Araştırma Merkezi (IRCICA)
Organisation of Islamic Conference, Research Centre for Islamic History, Art and Culture

İSLAM MEDENİYETİNDE BAĞDAT
(MEDÎNETÜ'S-SELÂM) ULUSLARARASI SEMPOZYUM

INTERNATIONAL SYMPOSIUM ON
BAGHDAD (MADINAT al-SALAM) IN THE ISLAMIC CIVILIZATION

المؤتمر الدولي بغداد (مدينة السلام) في الحضارة الإسلامية

7-9 Kasım / November 2008
Bağlarbaşı Kültür Merkezi
Üsküdar– İSTANBUL
TÜRKİYE

PROGRAM

Ümraniye Belediyesi'nin katkılarıyla
Sponsored by Umraniye Municipality

إسهامات علماء المسلمين في الحركة الفكرية في بغداد تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ١٠٧٦م) نموذجاً

الدكتور محمد مختار

ملخص بالعربية

١- لما دعيت للمشاركة في ورقة بحثية في مؤتمر بغداد مدينة السلام، الضوء على محور إسهامات علماء المسلمين في الحركة الفكرية في بغداد، انقدح في ذهني الكتابة عن تاريخ بغداد للخطيب البغدادي. إذ كان رحمه الله م هذا الجانب التاريخي بكتابه الكبير "تاريخ بغداد" الذي جمع فيه خلاصة ترجمة عرفتهم بغداد حتى أواسط القرن الخامس الهجري، وأصبح مثالاً احتذى به كل التاريخ للمدن مثل: ابن عساكر في كتابه "تاريخ دمشق"، وابن العديم في كتاب في تاريخ حلب".

٢- درس حياته كل من يوسف العش في كتابه: "الخطيب البغدادي ومحدثها"، وأكرم ضياء العمري في كتابه" "موارد الخطيب البغدادي في تاريخ عواد معروف في مقدمة تحقيقه ل"تاريخ مدينة السلام" للخطيب البغدادي، وم في كتابه: "الحافظ الخطيب البغدادي وأثره في علوم الحديث"، وخلدون كتابه"زوائد تاريخ بغداد على الكتب الستة"، ويوسف السعيد في تحقيقه " ا النجوم"وترجم له: ابن عساكر في تاريخ دمشق٢٢/٧ وابن الجوزي في الـ

تسليط
ول ما
موا في
الذين
ق إلى
الطلب

بغداد
وبشار
طحان
ب في
ب علم
٢٦٥/١

جامعة آل البيت – الأردن.

وياقوت في معجم الأدباء١/٣٨٤ وابن الأثير في الكامل١٠/٦٨ وابن خلكان في وفيات الأعيان١/٩٢ والذهبي في سير أعلام النبلاء١٨/٢٧٠

٣- جمهور أهل العلم مطبق على إمامة الخطيب البغدادي في الحديث وعلومه وتحرّيه، وإتقانه وعلو منزلته في التاريخ والتراجم. واتفقت كلمة المحدثين على توثيق الخطيب والثناء عليه، وأنه حجة ثبت في نقوله، بارع في مؤلفاته، متقن لرواياته.

٤-ويبلغ مجموع مؤلفاته ستة وثمانين كتاباً، المطبوع منها:

"الكفاية في علم الرواية"وله "الجامع لآداب الراوي وأخلاق السامع"

وله "شرف أصحاب الحديث" و"نصيحة أهل الحديث"وله "الفقيه والمتفقه"

و"اقتضاء العلم العمل" و"البخلاء" و"التطفيل وحكاية الطفيلين وأخبارهم ونوادر كلامهم و"الإجازة للمعدوم والمجهول" وله "تقييد العلم" و"الرحلة في طلب الحديث" و"المتفق والمفترق" و"موضح أوهام الجمع والتفريق"، و"الفصل للوصل المدرج في النقل" و"الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة" و"السابق واللاحق في تباعد ما بين وفاة راويين عن شيخ واحد" و"تلخيص المتشابه في الرسم وحماية ما أشكل منه عن بوادر التصحيف والوهم" و"تالي تلخيص المتشابه" وله" القول في علم النجوم" وله "ذكر صلاة التسبيح " وله رسالة "الصفات" وله "تاريخ الأنبياء" و"مسألة الاحتجاج بالشافعي فيما أسند إليه والرد على الطاعنين لعظم جهلهم عليه" وله "تاريخ بغداد".

٥- موضوع كتاب "تاريخ بغداد" علم الرجال، وهو أحد فروع علم التاريخ.

يعد "تاريخ بغداد" من أهم واكبر مؤلفات الخطيب البغدادي وأكثرها شهرة على الإطلاق، وهو موسوعة علمية تاريخية في تراجم الرجال، ونال من أجله صاحب الكتاب صيتاً ذائعاً لما تميز به من ميزات عظيمة، وهو أوسع مصدر عن الحياة الفكرية في بغداد.

تظهر أهمية الكتاب بما حواه من تراجم بلغت حوالي ٧٨٣١ ترجمة شملت هذه التراجم العلماء من فقهاء ومحدثين فضلا عن رجال الدولة من خلفاء ووزراء. وتكمن أهمية هذا المؤلف في توضيح الجوانب الحضارية لمدينة بغداد. وأظهر الكتاب أهمية بغداد في العالم الإسلامي ومكانتها العلمية الكبيرة. وتكمن أهمية كتاب تاريخ بغداد العظمى في اهتمامه بمجال الحديث الشريف إذ ترجم لحوالي خمسة آلاف محدث ويبدو أنه وضعه في الدرجة

الأولى لخدمة علم الحديث والسنة النبوية من خلال تراجم رجال الحديث، وقد عني ببيان حالهم من الجرح والتعديل، وفي جانب رواية الحديث اشتمل على ٤٣٨٥ حديثا.

وأصبح تاريخ الخطيب مصدراً مهما لكثير من مؤرخي الإسلام الذين استفادوا منه كثيراً وأصبح لهم مرجعاً رئيساً في كتبهم

ومما يدعو إلى اليقين أن اعتماد المؤرخين في كتبهم على تاريخه يدل على ثقتهم به وبمادته.

ومن المؤرخين من اعتمد على كتاب الخطيب البغدادي مثل: ابن ماكولا وأبو يعلى والسمعاني وابن عساكر وابن الجوزي والحموي وابن خلكان والمزي والذهبي في جميع كتبه والسبكي والصفدي وابن كثير وغيرهم كثير.

ويكفي هذا الكتاب أهمية في استخدام الخطيب لمئات المصادر في تأليف هذه الموسوعة التاريخية واستعماله الإسناد ودقته في النقل منها مما حفظ لنا ثروة عظيمة من النصوص.

٦- الخطيب رتب تاريخه على حروف المعجم ولم يلتزم أحيانا بالترتيب المعجمي، ويبدو أنه راعى نظام الطبقات ضمن الحرف الواحد فراعى في تقديمه الصحابة والتابعين الذين نزلوا بغداد. ويظهر لنا من تاريخه تكرار بعض التراجم وسبب ذلك انه ترجم لرجل باسمه ثم يعيده حسب اللقب المشهور به أو يكون له اسمان.

٧- عمد الخطيب في تاريخه أن يترجم لجميع علماء بغداد سواء من سكنها أم زارها

واعتمد الخطيب في مادة تاريخه على المؤلفات التي سبقت تأليفه، وخاصة كتب تراجم المحدثين وكتب تراجم الخلفاء والأدباء والشعراء وكتب الحوليات. وكذلك عمل الخطيب على تخريج أحاديث المترجمين فاستخدم كتب الحديث ومعاجم الشيوخ.

حاول الخطيب أن يقدم ترجمة كاملة ومختصرة لمن ترجم لهم تتضمن الترجمة: اسمه ونسبه والشهرة التي يعرف بها وشيوخه وتلاميذه وأراء العلماء فيه ويبين رأيه فيه ويذكر إن كان عنده شعر أو رواية، وبيّن مكان وسنة ولادته ومكان وسنة وفاته وفي أي مقبرة دفن.

٨- عمل الخطيب على نقد وتمحيص الروايات التي بين يديه وبيان أوهام العلماء والمصنفين السابقين وترجيح بين الروايات المتعارضة التي تتعلق مثلا بتاريخ الولادة والوفاة ومكانهما وغيرها من الأمور.

٩- تميز الخطيب بدقة نقله إذ ينقل النص كما وجده وبعدها يعقب على النص ويصححه. وقد استدرك على عدد من العلماء وبيّن أخطاءهم، وقد ضبط على كبار المصنفين ما شذوا فيه من روايات خالفوا فيها ما اتفق عليه العلماء. ويعتمد الخطيب في بيان أحوال الرواة المترجمين على أقوال أئمة الجرح والتعديل، وكان يوازن بينها وينقدها.

١٠- أقوال الخطيب في الجرح والتعديل اعتبرت أقصى حدود الاعتبار. . وكان الخطيب ناقدا ماهرا في علم الجرح والتعديل، وكان يوازن بين الأقوال ويتعقب كبار النقاد ويصوب أخطاءهم.

١١- إن إيراد الحديث في تاريخ بغداد بشكل خاص وفي كتب الرجال عامة كان لغايات محددة تهدف في الأغلب الأعم إلى تقويم حال الراوي جرحا أو تعديلا. وقد ذكر الخطيب روايات المترجَم لهم ليكون مظنة لأحوال رجال الحديث جرحا وتعديلا ولم يكن هدفه جمع الحديث أو بيان منزلة كل حديث. وإذا كان الأمر كذلك تبيّن أن لا يستغرب من رواية الأحاديث الواهية والموضوعة في كتابه وكتب الرجال والتراجم لأن سياقة هذه الأحاديث التالفة في تراجمهم هي المنبئة في كثير من الأحيان عن أحوالهم.

١٢- أصبح تاريخ الخطيب أصلا لتاريخ بغداد ولم يؤلف أحد بعده في تراجم علماء بغداد في الفترة التي تناولها، بل صار أساسا يبنى عليه، فيتمم كلما استجدت فترة زمنية بعده وهو ما يعرف في تاريخ الحركة التأليفية عند المؤرخين بالتذييل. وعليه اختصر تاريخ بغداد العديد من المؤرخين ومن أبرز من ذيل عليه:

السمعاني ثم جاء بعده ذيل ابن الدبيثي ثم كتب ابن النجار ذيلا على تاريخ الخطيب وذيل على ابن النجار تاج الدين البغدادي وتقي الدين السلامي وذيل عليه أيضاً أبو الحسن القطيفي وأيضاً ابن شافع الجبلي وهناك ذيل هبة الله بن المبارك السقطي وذيل ابن أبي شجاع الذهلي، أما من اختصره فهما كل من ابن مكرم والإمام الذهبي.

تمهيد

تطورت الكتابة التاريخية عند المسلمين تطوراً هائلاً، وشملت مناحي الحياة المختلفة وسجلت دقائقها، وترجمت لأعلامها، وكان من بين صور التأليف التاريخي التي شاعت منذ منتصف القرن الثالث الهجري ما يُعرف بالتاريخ المحلي؛ حيث يعمد المؤرخ إلى الكتابة عن مدينته، ويؤرخ لها دون غيرها من المدن؛ اعتزازاً بها، وتسجيلاً لحركتها الفكرية، وبدأت تظهر سلسلة من تواريخ المدن توافر على كتابتها عدد من أبنائها، حتى أضحت كتابة هذه التواريخ البلدانية تقليداً لدى العلماء تتوارثه الأجيال.

وتوالت الكتب التي تتناول المدن الكبيرة وحواضر الدول؛ مثل: بغداد، ودمشق، والقاهرة، ومكة، وحلب، وهي كتب تتناول تاريخ هذه المدن – لا على أساس أحداثها السياسية وخلفائها ووزرائها وولاتها-، ولكن على أساس رجالها وعلمائها الذي ملأوا مساجدها ومدارسها درساً وتأليفاً، وصار الإطار المكاني هو الذي يربط بين علمائها، وجرى تنظيم هذه المؤلفات على أساس الترتيب الألفبائي، وكان من شأن هذه الكتب أنها حفظت لنا الحركة الحضارية وفاعلياتها داخل تلك المدن، ولم تشغل نفسها بالأحداث السياسية وأدوار رجالها.

ولما دعيت للمشاركة في ورقة بحثية في مؤتمر بغداد مدينة السلام، اخترت تسليط الضوء على محور إسهامات علماء المسلمين في الحركة الفكرية في بغداد، وكان أول ما انقدح في ذهني الكتابة عن تاريخ بغداد للخطيب البغدادي. إذ كان رحمه الله ممن أسهموا في هذا الجانب التاريخي بكتابه الكبير "تاريخ بغداد" الذي جمع فيه خلاصة ترجمة العلماء الذين عرفتهم بغداد حتى أواسط القرن الخامس الهجري، وأصبح مثالاً احتذى به كل من تطرق إلى التاريخ للمدن مثل: ابن عساكر في كتابه "تاريخ دمشق"، وابن العديم في كتابه "بغية الطلب في تاريخ حلب".

ترجمة موجزة للخطيب البغدادي:[1]

المولد والنشأة: في" غزية" من قرى الحجاز ولد أحمد بن علي بن ثابت في يوم الخميس الموافق (٢٤ من جمادى الآخرة ٣٩٢هـ / ١ من ديسمبر ١٥٣٤م)، ونشأ في "درزيجان"، وهي قرية تقع جنوب غرب بغداد؛ حيث كان أبوه يتولى الخطابة والإمامة في جامعها لمدة عشرين عاماً، وعُني به أبوه عناية فائقة، فدفع به إلى من أدَّبه وحفظه القرآن، ولما اشتد عوده بدأ يتردد على حلقات العلم في بغداد، وكانت آنذاك تموج حركة ونشاطاً بعلمائها وفقهائها، فالتزم حلقة "أبي الحس بن رزقوية"، وكان محدثاً عظيماً، له حلقة في جامع المدينة ببغداد، وتردد على حلقة أبي بكر البرقاني، وكان مبرزاً في علم الحديث، فسمع منه وأجازه، واتصل بالفقيه الشافعي الكبير "أبي حامد الإسفرائيني"، وتتلمذ على يديْه، كما التقى بالعلماء الواردين على بغداد، وأخذ عنهم.

الرحلة في طلب العلم:

كانت الرحلة في طلب العلم من التقاليد عند علماء المسلمين؛ فبعد أن ينهل الطالب من علماء بلدته والبلدان المحيطة يبدأ في الاستعداد للرحلة إلى الحواضر الكبرى، وقد ألف الخطيب البغدادي رسالة في هذا الموضوع باسم " الرحلة في طلب الحديث"، أورد فيها الأحاديث والآثار التي جاءت في فضل الرحلة، وسجل رحلات الصحابة والتابعيين ومن جاء بعدهم، وبيَّن الغرض من الرحلة وهو تحصيل علو الإسناد، ولقاء الحفاظ والمذاكرة معهم.

كانت البصرة هي المدينة التي قصدها، وهو في العشرين من عمره في سنة (٤١٢ هـ / ١٠٢١م) والتقى بعلمائها الكبار وأخذ عنهم، ثم عاد إلى بغداد في السنة نفسها، وبدأ اسمه في الذيوع والانتشار، ثم عاود الرحلة بعد مضي ثلاث سنوات على رحلته الأولى، واتجه إلى

---

[1] درس حياته كل من يوسف العش في كتابه: "الخطيب البغدادي مؤرخ بغداد ومحدثها"، وأكرم ضياء العمري في كتابه" "موارد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد"، وبشار عواد معروف في مقدمة تحقيقه ل"تاريخ مدينة السلام" للخطيب البغدادي، ومحمود الطحان في كتابه: "الحافظ الخطيب البغدادي وأثره في علوم الحديث"، وخلدون الأحدب في كتابه"زوائد تاريخ بغداد على الكتب الستة"، ويوسف السعيد في تحقيقه " القول في علم النجوم"وترجم له: ابن عساكر في تاريخ دمشق٢٢/٧ وابن الجوزي في المنتظم ٢٦٥/٨ وياقوت في معجم الأدباء٣٨٤/١ وابن الأثير في الكامل٦٨/١٠ وابن خلكان في وفيات الأعيان٩٢/١ والذهبي في سير أعلام النبلاء٢٧٠/١٨

نيسان بمشورة شيخه أبي بكر البرقاني سنة (٤١٥هـ /١٠٢٤م)، وفي طريقه إليها مر بمدن كثيرة كانت من مراكز الثقافة وحواضر العلم، فنزل بها وأخذ عن شيوخها، حتى إذا استقر بنيسابور بدأ في الاتصال بعلمائها وشيوخها، فأخذ عن أبي حازم عمر بن أحمد العبدوي، وأبي سعيد بن محمد بن موسى بن الفضل بن ساذان، وأبي بكر أحمد بن الحسن الحرشي، وصاعد بن محمد الاستوائي وغيرهم، ثم عاد إلى بغداد.

ثم عاود الرحلة إلى أصبهان سنة (٤٢١ هـ /١٠٣٠م)، واتصل بأبي نعيم الأصبهاني صاحب "حلية الأولياء"، فلازمه وروى عنه، كما روى عن عدد من العلماء والمحدثين، وأخذ عنهم رواياتهم، وكرّ راجعاً إلى بغداد، واستقر بها مدة طويلة.

أصبح الخطيب البغدادي معقد الآمال في بغداد، ومقصد الطلاب من كل مكان، وموضع احترام الناس وتقديرهم، يلجأون إليه في الملمات، وحدث أن أظهر بعض اليهود في سنة (٤٤٧هـ /١٠٥٥م) كتاباً ادعوا فيه أنه كتاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بإسقاط الجزية عن أهل خيبر، وفيه شهادات الصحابة، وذكروا أن خط علي فيه، فلما أُرسل الكتاب إلى وزير الخليفة القائم بأمر الله عرضه على الخطيب البغدادي، فتأمله ثم قال: هذا مزوَّر؛ فلما قيل له: كيف عرفت ذلك؟ قال: من شهادة معاوية؛ فهو أسلم عام الفتح سنة (٨ هـ / ٦٢٩م)، وفُتحت خيبر في سنة (٧هـ / ٦٢٨م)، وفيه شهادة سعد بن معاذ، وقد مات يوم بني قريظة قبل خيبر بسنتين، فاستحسن الوزير ذلك من الخطيب، ولم يُجزهم الوزير على ما جاء في الكتاب، وأخذ منهم الجزية.

وما قام به الخطيب دليل على سعة علمه وتبحره في التاريخ، ومعرفته الدقيقة بالرجال والنقد التاريخي، والبصر الدقيق بالسند والمتن، وقد رفعت هذه الحادثة مكانته عند وزير الخليفة؛ فجعله مرجع الخطباء والوعاظ في الحديث؛ فلا يروون حديثاً حتى يعرضوه عليه؛ ليرى درجته ومبلغ صحته وضعفه؛ فإن كان صحيحاً أذاعوه، وإن كان ضعيفاً ردوه.

مُعاودة الرحلة:

ظل الخطيب في بغداد حتى سنة (٤٥١هـ / ١٠٥٩م) عاكفاً على التأليف، مشتغلا بتدريس الحديث وإملائه بمسجد المنصور، ثم غادرها إلى "دمشق" تسبقه شهرته الواسعة، وكان قد سبق له أن زارها كثيراً قبل هذه الرحلة، لكنه في هذه المرة طالت به فترة إقامته،

وكان يعقد مجلسه في الجامع الأموي؛ يحدث بمصنفاته ومروياته وسط حشد هائل من تلاميذه وطلبة العلم ومحبيه، وكانت دمشق آنذاك تابعة للدولة الفاطمية، فسعى الوشاة إلى إحداث وقيعة بينه وبين الفاطميين، واستندوا إلى أنه يحدث بكتاب "فضائل الصحابة الأربعة" للإمام أحمد بن حنبل وفضائل العباس لأبي الحسن بن رزقويه، وكادت الوشاية تؤدي إلى قتله لولا تدخل بعض العارفين لقدر الإمام، فعملوا على إخراجه من دمشق، وتوجه إلى صور سنة (٤٥٩هـ /١٠٦٦ م) وكان يحدث بجامعها، ويزور القدس ويعود ثانية، ثم غادر "صور" بعد أن مكث بها فترة طويلة، وقصد "طرابلس" سنة (٤٦٢هـ / ١٠٦٩م)، ثم اتجه إلى حلب، ثم عاد في السنة نفسها إلى بغداد بعد غياب طويل عنها دام نحو أحد عشر عاماً، فوصلها في (ذي الحجة ٤٦٢هـ /١٠٦٩م)، واستأنف سيرته العلمية.

أستاذ لشيوخه:

اشتهر الخطيب بكثرة مروياته وسعة علمه؛ فروى عنه كثيرون، بعضهم كان من شيوخه، مثل شيخه أحمد بن محمد البرقاني، وأبي القاسم الأزهري، وبعضهم من زملائه وأقرانه مثل أبي إسحاق الشيرازي، والحافظ ابن ماكولا، وأبي عبد الله الحميدي الأندلسي. أما طلابه وتلاميذه فكثيرون، منهم: عبد الكريم بن حمزة مسند الشام، وأبي بكر المرزقي، وهبة الله الأكفاني، وأبي زكريا يحيى بن علي المعروف بالخطيب التبريزي، وأبي الوفاء علي بن عقيل الفقيه المعروف.

منزلته في الحديث والتاريخ:

جمهور أهل العلم مطبق على إمامة الخطيب البغدادي في الحديث وعلومه وتحرّيه، وإتقانه وعلو منزلته في التاريخ والتراجم.

قال الحافظ ابن ماكولا: إن الخطيب البغدادي كان آخر الأعيان، ممّن شاهدناه معرفة، وإتقانا وحفظا وضبطا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتفنّنا في علته وأسانيده، وخبرة برواته وناقليه، وعلما بصحيحه وغريبه وفرده ومنكره وسقيمه ومطروحه ولم يكن للبغداديين بعد أبي الحسن علي بن عمر الدارقطني من يجري مجراه، ولا قام بعده منهم بهذا الشأن سواه، وقد استفدنا كثيرا من هذا اليسير الذي نحسنه به وعنه، وتعلّمنا شطرا من هذا القليل الذي نعرفه بتنبيهه ومنه، فجزاه الله عنا الخير، ولقّاه الحسنى.

- قال الساجي: ما أخرجت بغداد بعد الدارقطني مثل الخطيب.

قال شيخه أبو إسحاق الشيرازي الفقيه: أبو بكر الخطيب يشبه بالدارقطني ونظرائه في معرفة الحديث وحفظه.

واتفقت كلمة المحدثين على توثيق الخطيب والثناء عليه، وأنه حجة ثبت في نقوله، بارع في مؤلفاته، متقن لرواياته[٢].

مؤلفاته:

قضى الخطيب عمره في طلب العلم، والرحلة إلى شيوخه، يأخذ عنهم مصنفاتهم ومروياتهم، وعني بالحديث وعلومه، والفقه وأصوله، والأدب والتاريخ والأخبار، وإن كانت شهرته باعتباره حافظاً قد غلبت عليه؛ لأن عنايته بالحديث وعلومه قد استأثرت بمعظم جهوده، ويتضح ذلك من قائمة مؤلفاته؛ حيث تحتل كتب الحديث وعلومه المرتبة الأولى من بينها.

ويبلغ مجموع مؤلفاته ستة وثمانين كتاباً، سأورد المطبوع منها:

الكفاية في علم الرواية، وهو من أهم الكتب التي أُلفت في علم مصطلح الحديث؛ حيث اشتمل على فنون هذا العلم ومصطلحاته المستعملة في كتب الحديث وتحديد معانيها بدقة، وقد استفاد من الكتاب كل من تعرض لهذا العلم الجليل مثل القاضي عياض، وابن الصلاح.

وقد طبع الكتاب في الهند أولا عام ١٣٥٧هـ، ثم طبع في مصرفي مطبعة السعادة عام ١٩٧٢م بعناية الأستاذين عبد الحليم محمد وعبد الرحمن حسن. ثم طبع بتحقيق زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م.

وله *الجامع لآداب الراوي وأخلاق السامع* تناول فيه آداب طالب علم الحديث، وهيئته وكيفية تعامله مع شيخه، وسلوكه في حضرة مجلسه، وتعرض لمظهره وكلامه ومشيه ومجلسه، وبيَّن آداب معاملة الشيخ لتلاميذه وتوقيره لهم، وتعرض لمظهره وكلامه ومشيه

---

[٢] انظر في ثناء العلماء عليه وتوثيقه ومكانته عند العلماء: تذكرة الحفاظ للذهبي ١١٣٧/٣، طبقات الشافعية للسبكي٣١/٤، الأنساب للسمعاني١٥١/٥، وفيات الأعيان لابن خلكان٧٦/١، المنتظم لابن الجوزي٢٦٧/٨.

ومجلسه، وتحرّيه الصدق، واختياره الرواية من أصل مكتوب، وما يلزمه معرفته من النحو والصرف؛ وذكر صفة مجلس المحدث ووقته وموضعه، وغير ذلك من مباحث الكتاب. طبع الكتاب بتحقيق الدكتور محمد رأفت سعيد، ونشرته مكتبة الفلاح بالكويت عام ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م ثم طبع ثانية بتحقيق الدكتور محمود الطحان، ونشرته مكتبة المعارف بالرياض عام ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ثم طبع بتحقيق الدكتور محمد عجاج الخطيب، ونشرته مؤسسة الرسالة في بيروت عام١٤١٢هـ/١٩٩١م.

وله أيضاً *شرف أصحاب الحديث* تحقيق الدكتور محمد سعيد أوغلي، دار إحياء السنة النبوية، مطبعة جامعة أنقرة /تركيا، الطبعة الأولى ١٩٧١م. ثم طبع في عالم الكتب، بيروت ٢٠٠٣م.

و*نصيحة أهل الحديث*، طبع عدة طبعات آخرها عام ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م تحقيق زميلنا الدكتور عبد الكريم الوريكات، مكتبة المنار، الأردن.

وله *الفقيه والمتفقه* تحقيق أكرم ضياء العمري، مجلة كلية الإمام الأعظم، بغداد، ١٩٧٢م، وطبع أيضا بمطابع القصيم بالرياض عام ١٣٨٩هـ/بعناية إسماعيل الأنصاري. كما حققه عادل العزازي، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

واقتضاء العلم العمل طبع بدمشق عام ١٣٨٥هـ بتحقيق محمد ناصر الدين الألباني.

*والبخلاء*طبع في مطبعة العاني ببغداد سنة ١٩٦٤م بتحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي وأحمد ناجي القيسي.

والتطفيل وحكاية الطفيلين وأخبارهم ونوادر كلامهم وأشعارهم نشره حسام الدين القدسي في دمشق عام ١٣٤٦هـ، وحققه عبدالله عبد الرحيم، دار المدني، جدة١٩٨٦م. وله طبعات أخرى.

و *الإجازة للمعدوم والمجهول* وهي رسالة صغيرة طبعت مع عدة رسائل بعناية صبحي السامرائي في مطابع المجد بالقاهرة عام ١٣٨٩هـ. وحققها الدكتور صالح يوسف معتوق، مجلة الأحمدية، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث بدبي العدد ٦.

وله *تقييد العلم*، طبع بتحقيق الدكتور يوسف العش، ونشره المعهد الفرنسي بدمشق عام ١٩٤٩م.

و الرحلة في طلب الحديث، طبع أولا في القاهرة عام ١٣٨٩هـ ضمن مجموعة رسائل بعناية صبحي السامرائي، ثم حققه الدكتور نور الدين عتر ونشره بدمشق عام ١٣٩٥هـ /١٩٧٥م.

و *المتفق والمفترق* تحقيق محمد صادق الحامدي، دار القادري، بيروت ١٩٩٧م.

و *موضح أوهام الجمع والتفريق*، طبع في حيدر آباد الدكن بالهند عام ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م بتحقيق عبد الرحمن المعلمي اليماني.

و *الفصل للوصل المدرج في النقل* تحقيق زميلنا الدكتور عبد السميع الأنيس، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ومطبوع أيضا بتحقيق محمد مطر الزهراني، دار الهجرة، السعودية، الطبعة الأولى سنة ١٤١٨هـ /١٩٩٨م، وحققه محمود نصار، الكتب العلمية، بيروت٢٠٠٣م.

و *الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة* طبع في مطبعة المدني في مصر عام ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م بتحقيق عزالدين علي السيد وهو من منشورات مكتبة الخانجي.

و *السابق واللاحق في تباعد ما بين وفاة راويين عن شيخ واحد* نشرته دار طيبة في الرياض عام ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م بتحقيق محمد بن مطر الزهراني.

و *تلخيص المتشابه في الرسم وحماية ما أشكل منه عن بوادر التصحيف والوهم* حققته سكينة الشهابي، مكتبة طلاس، دمشق١٩٨٥م، وحققه محمد إسماعيل دار الكتب العلمية، بيروت. ٢٠٠٣م.

و *تالي تلخيص المتشابه* تحقيق مشهور حسن، دار الصميعي، ط١، الرياض١٩٩٧.

وله *القول في علم النجوم* تحقيق يوسف السعيد، دار أطلس، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

وله *ذكر صلاة التسبيح* تحقيق فراس مشعل، الدار الأثرية، عمان، الأردن. وحققته أيضا الدكتورة إيمان علي عبد الغني، دار البشائر، بيروت.

وله رسالة *الصفات* تحقيق أحمد فريد المزيدي، طبعت مفردة ضمن مجموع في دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٥ هـ.

وله *تاريخ الأنبياء* تحقيق آسيا كليبان علي البارح، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٤م.

و *مسألة الاحتجاج بالشافعي فيما أسند إليه والرد على الطاعنين لعظم جهلهم عليه* تحقيق الدكتور خليل إبراهيم ملا خاطر، مجلة البحوث الإسلامية، العدد ٢، ١٤٠٠هـ/ الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض ١٩٨٠.

وله *تاريخ بغداد* الذي سأشير إلى طبعاته في خاتمة البحث، صنفه الخطيب البغدادي لخدمة الحديث كما أشرت من قبل.

هذه أهم الكتب والرسائل المطبوعة والمتداولة. وله مصنفات أخرى ذكرها العلماء في العقائد والفقه وأصوله والزهد والرقائق والأدب.

وفاته:

بعد عودة الخطيب البغدادي من الشام واستقراره سنة (٤٦٢هـ /١٠٦٩م) قام بالتدريس في حلقته بجامع المنصور، واجتمع حوله طلابه وأصحابه، غير أن حياته لم تطُل، فلقي ربه في (٧ من ذي الحجة ٤٦٣م)

أهمية كتاب تاريخ بغداد:

موضوع كتاب "تاريخ بغداد" علم الرجال، وهو أحد فروع علم التاريخ.

يعد "تاريخ بغداد" من أهم واكبر مؤلفات الخطيب البغدادي احمد بن علي بن ثابت (ت٤٦٣هـ١٠٧٦م) وأكثرها شهرة على الإطلاق، وهو موسوعة علمية تاريخية في تراجم الرجال، ونال من أجله صاحب الكتاب صيتاً ذائعاً لما تميز به من ميزات عظيمة، وهو أوسع مصدر عن الحياة الفكرية في بغداد، ويعد أول كتاب وصل إلينا تناول تاريخ علماء بغداد منذ تأسيسها إلى عصر المؤلف منتصف القرن الخامس الهجري.

وتظهر أهمية الكتاب بما حواه من تراجم بلغت حوالي ٧٨٣١ ترجمة شملت هذه التراجم العلماء من فقهاء ومحدثين فضلا عن رجال الدولة من خلفاء ووزراء.

وكما تجلت أهميته في المقدمة التي وصف بها مدينة بغداد منذ تأسيسها حيث بين فيها مراحل بنائها من اختيار المكان وتخطيطه والعاملين فيها واعتمد في ذلك على الذين سبقوه مثل اليعقوبي والطبري وابن طيفور وغيرهم. ولقد وصف الدكتور العمري تاريخ بغداد

(بتاريخ النخبة) لأن الخطيب تناول في كتابه العلماء البارزين وأصحاب الكفاءات وخاصة العلماء الذي ينتمي إلى طبقتهم[٣].

وتكمن أهمية هذا المؤلف في توضيح الجوانب الحضارية لمدينة بغداد حيث بيّن في ثنايا كتابه مظاهر الحياة الثقافية والتعليمية المتمثلة في بيان طرائق التدريس ومناهج العلماء ومقاييسهم وعلاقتهم مع تلاميذهم ومعرفة المدارس التي ظهرت في بغداد وبيّن المناظرات العلمية بين العلماء والحلقات الدراسية في المساجد.

وأظهر الكتاب أهمية بغداد في العالم الإسلامي ومكانتها العلمية الكبيرة إذ وضح كثرة ورود الطلاب إلى بغداد لطلب العلم من علمائها، كما بين الكتاب مدى الاتصال الفكري والتعاون بين بغداد ومدن العالم الإسلامي.

ورد في الأثر أن مناقشة دارت بين عالمين فسأل أحدهما الآخر هل زرت بغداد فقال: لا، فقال له إنك لم تر الدنيا.

وتكمن أهمية كتاب تاريخ بغداد العظمى في اهتمامه بمجال الحديث الشريف إذ ترجم لحوالي خمسة آلاف محدث ويبدو انه وضعه في الدرجة الأولى لخدمة علم الحديث والسنة النبوية من خلال تراجم رجال الحديث، وقد عني ببيان حالهم من الجرح والتعديل، وفي جانب رواية الحديث اشتمل على ٤٣٨٥ حديثا حسب إحصاء قام به الدكتور خلدون الأحدب وقد ساق الخطيب البغدادي الروايات كلها بأسانيده.

وهو عدد يزيد على عدد أحاديث بعض الأصول الستة.

من هنا يتبين لنا جانب من جوانب أهمية كتاب "تاريخ بغداد" بوصفه مصدرا من مصادر الحديث الشريف.[٤]

وتظهر أهميته كذلك بالتعريف بالكثير من الكتب المفقودة في مجالات مختلفة وذكر الكثير من الكتب التي لم يذكرها ابن النديم في الفهرست وتبلغ (٢٩٨) كتابا، وتبلغ مجموع الكتب التي ذكرها في كتابه حوالي (٤٤٦) كتابا، أُلِّفت جميعاً خلال القرون: الثالث والرابع

---

٣ الدكتور أكرم ضياء العمري ـ موارد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ـ دار طيبة ـ الرياض ١٤٠٥/١٩٨٥، ص١٠٨

٤ انظر زوائد تاريخ بغداد، ٨٢/١.

والخامس، وهي في موضوعات شتى هي: علوم القرآن والقراءات، والتفسير، والحديث، والفقه، والعقائد والفِرق، والرقائق والتصوف؛ وكتب أخرى متفرقة.

وعند مقارنة هذه القائمة بكتاب الفهرست لابن النديم تبين أن الخطيب البغدادي ذكر ٢٩٨ كتاباً لم يذكرها ابن النديم، مما يدل على أهمية الإضافة التي قدمها الخطيب البغدادي بسبب ذكره مصنفات أصحاب التراجم[٥].

وأصبح تاريخ الخطيب مصدراً مهما لكثير من مؤرخي الإسلام الذين استفادوا منه كثيراً وأصبح لهم مرجعاً رئيساً في كتبهم، وهذا السبكي (ت٧٧١هـ) قال عنه: يعدّ من محاسن الكتب الإسلامية[٦].

وأثنى عليه طاش كبرى زاده (ت ٩٦٥هـ) بقوله: "كان من الحفاظ المتقنين والعلماء المتبحّرين ولو لم يكن له سوى التاريخ لكفاه فإنه يدل على اطلاع عظيم"[٧].

ومما يدعو إلى اليقين أن اعتماد المؤرخين في كتبهم على تاريخه يدل على ثقتهم به وبمادته.

ومن المؤرخين من اعتمد على كتاب الخطيب البغدادي مثل:

ابن ماكولا (ت ٤٧٥هـ) في كتابه "الإكمال".

وأبو يعلى (ت٥٢٦هـ) في "طبقات الحنابلة".

والسمعاني (ت ٥٦٢هـ) في "الأنساب".

وابن عساكر (ت٥٧١هـ) في "تاريخ دمشق".

وابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) في" المنتظم في تاريخ الملوك والأمم" وأيضاً في كتابه "المصباح المضيء في أخبار المستضيء".

والحموي (ت ٦٢٦هـ) في كتابيه "معجم البلدان" و"إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب".

ابن خلكان (ت ٦٨١هـ) في "وفيات الأعيان".

---

٥ انظر أكرم العمري، موارد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، ص٩١.

٦ نظر: طبقات الشافعية الكبرى٣/٥٩ تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي، هجر للطباعة والنشر، القاهرة ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢.

٧ مفتاح السعادة ومصباح السيادة ٣٣/٢، دار الكتب العلمية.

والمزي (ت ٧٤٢هـ) في "تهذيب الكمال".

والذهبي (ت ٧٤٨هـ) في جميع كتبه مثل "تذكرة الحفاظ" "العبر" و"سير أعلام النبلاء" وغيرها.

والسبكي (ت ٧٧١هـ) في "طبقات الشافعية".

والصفدي (ت ٧٦٤هـ) في "الوافي".

وابن كثير (ت ٧٧٤هـ) في "البداية والنهاية" وغيرهم من المؤرخين[٨].

فكان الخطيب البغدادي ممن أسهموا في هذا الجانب التاريخي بكتابه الكبير "تاريخ بغداد" الذي جمع فيه خلاصة ترجمة العلماء الذين عرفتهم بغداد حتى أواسط القرن الخامس الهجري، وأصبح مثالا احتذى به كل من تطرق إلى التاريخ للمدن مثل ابن عساكر في كتابه "تاريخ دمشق"، وابن العديم في كتابه "بغية الطلب في تاريخ حلب".

ويكفي هذا الكتاب أهمية في استخدام الخطيب لمئات المصادر في تأليف هذه الموسوعة التاريخية واستعماله الإسناد ودقته في النقل منها مما حفظ لنا ثروة عظيمة من النصوص. . وقد بينت الدراسة التي قام بها الدكتور أكرم العمري لموارد تاريخ الخطيب ضخامة الموارد التي استقى منها المؤلف مادته[٩].

عنوان الكتاب ومضمونه:

عنوان الكتاب مفصلاً هو " تاريخ بغداد أو مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطّانها العلماء من غير أهلها ووارديها " هذا ما اتفقت عليه النسخ الأصلية.

وقد ألفه الخطيب البغدادي من رجال القرن الخامس الهجري وكان حافظاً للقرآن ومؤرخاً وفقيهاً وأديباً وقد عرف بغزارة مؤلفاته.

وعيّن المؤلف إطار بحثه المسهب في مقدمة موجزة لا تتجاوز صفحة واحدة قال فيها: "هذا كتاب تاريخ مدينة السلام وخبر بنائها وذكر كبراء نزّالها وذكر وارديها وتسمية علمائها"[١٠]

---

٨ انظر أكرم العمري، موارد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، ص٩٠.

٩ انظر مقدمة بشار عواد في تحقيقه لـ " تاريخ مدينة السلام" للخطيب البغدادي ص١١١.

١٠ تاريخ بغداد ج١ص٣٠ تحقيق مصطفى عطا، دار الكتب العلمية.

وواضح من عنوان الكتاب ومن هذه الكلمات الممهدة أن الكتاب تأريخ مسهب لعاصمة العباسيين.

وأن الشطر الأوفى منه تناول موضوع التراجم بصورتها العامة أي كما قال الخطيب أنه في ذكر كبراء ونزّال بغداد وواردیها وعلمائها. فالكتاب رغم عنوانه الذي يوحي أنه ينطوي على مادة تاريخية هو في حقيقته كتاب تراجم في الدرجة الأولى.

وهو يشبه إلى حد ما كتاب نفح الطيب للمقرّي من حيث احتواؤه تاريخ البلد وجغرافيته ثم تراجم أعلامه.

وإذا علمنا مدى أهمية بغداد في القديم وأنها أكبر حواضر العلم والفكر والسياسة في التاريخ العربي الإسلامي وما عاش خلاله من رجال أعلام على مر العصور حتى عهد المؤلف أدركنا قيمة هذا الكتاب وفهمنا سبب ضخامته.

والكتاب في ظاهر اسمه مقصور على بغداد كما يوحي عنوانه ولكنه يتعدى هذا النطاق في الواقع لأنه رصد للحركة العلمية الشاملة في عهد العباسين الزاهر وبخاصة في حاضرتهم بغداد، بل إنه موسوعة ضخمة تتناول كل ما يتعلق بدار السلام وحضارتها.

وقد أحسن المؤلف صنعاً حين ترجم لمن وفدوا عليها

وألموا بها من خارجها.

وبهذا غدا طابع " تاريخ بغداد " عاماً شاملاً إذ قلما نبغ عالم أو شاعر أو أديب أو فقيه دون أن ينزل بمدينة السلام أو يلم بها.

ولهذا نجد تراجم العديد من غير البغداديين أصلاً كأبي الطيب المتنبي وسواه.

ومثل هذا الشمول في مادة الكتاب يتجلى في تراجم أعلام البغداديين والوافدين عليها من الخلفاء والملوك والوزراء والنحاة والصرفيين والبيانيين واللغويين والقراء والمفسرين والمحدثين والمتكلمين والمنطقين والفقهاء والقضاة والزهاد والمتصوفة والقصاص والوعاظ والرياضيين والحسّاب والفلكيين والمنجمين والموسيقيين والأطباء والصيادلة والجراحين والكتّاب والخطاطين والشعراء والمؤرخين والمغنين وحذاق الصناع والرماة والفرسان والنابغين.

ترتيب الكتاب:

المنهج الذي آثر الخطيب البغدادي اتباعه في عرض تراجمه لم يكن وفقاً للتسلسل الزمني كما قد يوحي بذلك عنوان الكتاب " تاريخ بغداد " ولكنه جنح إلى الترتيب المعجمي وهذا المنهج أجدى في مثل هذه الكثرة البالغة في عدد التراجم وأيسر تناولاً على الباحث.

وقد تكلم المؤلف في الجزء الأول من كتابه عن إنشاء بغداد أيام أبي جعفر واصل تسميتها وعن أسواقها وجسورها ومساجدها ومساحتها.

وبعد ذلك شرع في الترجمة لأعلام أهلها جاعلاً القسم الأول من ذلك في الترجمة للوافدين على المدائن القريبة منها وهم من الصحابة وعلى رأسهم علي والحسن والحسين وسعد وابن مسعود وابن ياسر وأبو أيوب الأنصاري وسلمان الفارسي وعبد الله بن عمر ومعاوية والمغيرة أيام الفتح وبعده رضي الله عنهم أجمعين.

ثم ينتقل المؤلف إلى التراجم العامة مقدماً أسماء المحمدين على غرار كتاب بغية الوعاة للسيوطي.

كذلك نلاحظ أن الخطيب أيضاً لا يراعي الدقة في ثواني حروف الأسماء فهو مثلاً يبدأ من اسمه محمد واسم أبيه اسحق ثم من اسم أبيه أحمد ثم من اسم أبيه إبراهيم على حين كان ينبغي له أن يفعل العكس.

ويبدو أن أكثر المؤلفين حتى هذا القرن الخامس عصر المؤلف لم يكونوا يعبؤون بهذه الناحية التفصيلية في الترتيب المعجمي[١١] ولكن نستطيع القول بأنه كان يقدم تراجم المتقدمين على المتأخرين دائماً.

قلنا أن الخطيب رتب تاريخه على أساس الحروف وبدأ كتابه باسم محمد تكريما لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبدأ بمحمد بن إسحاق وقال معتذراً انه بدأ به لأنه لم يجد أكبر سناً وأعلى إسنادا منه. ولم يلتزم أحيانا بالترتيب المعجمي، ويبدو أنه راعى نظام الطبقات ضمن الحرف الواحد فراعى في تقديمه الصحابة والتابعين الذين نزلوا بغداد.

ويظهر لنا من تاريخه تكرار بعض التراجم وسبب ذلك انه ترجم لرجل باسمه ثم يعيده حسب اللقب المشهور به أو يكون له اسمان.

---

[١١] مصطفى عطا، مقدمة التحقيق ٢٨/١.

أما بالنسبة لتكرار الروايات فان الخطيب كان يتفادى ذلك بالإحالة إلى موضع الرواية التي سبق إيرادها وكذلك كان يحيل إلى مؤلفاته إن احتاج الأمر إلى التفصيل مثل الجامع وموضح أوهام الجمع والتفريق ومناقب أحمد بن حنبل[١٢].

منهج الخطيب في تاريخه:

عمد الخطيب في تاريخه أن يترجم لجميع علماء بغداد سواء من كان سكنها أم زارها منذ بداية تأسيسها حتى عصره. أوضح ذلك في مقدمة الكتاب أن تاريخه يشمل ما يأتي: (تسمية الخلفاء والأشراف والكبراء والقضاة والفقهاء والمحدثين والقراء والزهاد والصلحاء والمتأدبين والشعراء من أهل مدينة السلام الذين ولدوا بها وبسواها من البلدان ونزلوها وذكر من انتقل عنها ومات ببلدة غيرها ومن كان بالنواحي القريبة منها ومَن قدمها من غير أهلها)[١٣].

وبذلك نفهم أن الخطيب ترجم لعلماء بغداد الذين ولدوا بها وتوفوا بها وأيضا العلماء الذين أتوا من مدن مختلفة وسكنوا بغداد أو حتى توفوا بها والعلماء الذين ولدوا فيها ثم رحلوا عنها وكذلك ترجم لأهل المناطق القريبة منها مثل سامراء وغيرها، وأيضاً العلماء الذين قدموا بغداد ثم رحلوا عنها.

ولم يذكر الخطيب في تاريخه من محدثي الغرباء الذين قدموا إلى بغداد ولم يحدثوا بها ويرووا العلم، فإنه أهملهم وذلك لكثرة أسمائهم وتعذر إحصاء عددهم.

واعتمد الخطيب في مادة تاريخه على المؤلفات التي سبقت تأليفه، وخاصة كتب تراجم المحدثين وكتب تراجم الخلفاء والأدباء والشعراء وكتب الحوليات.

وعمل الخطيب الانتقاء من هذه الكتب لأنه وجد لديه مادة واسعة وكان الغرض من هذا الانتقاء هو الحذر من تضخم كتابه، وكذلك عمل الخطيب على تخريج أحاديث المترجمين فاستخدم كتب الحديث ومعاجم الشيوخ.

---

١٢ الدكتور عمر الدقاق، مصادر التراث العربي في اللغة والمعاجم والأدب والتراجم، ص٣٠١ -٣٠٤، دار الشروق، بيروت، وانظر موارد الخطيب البغدادي ص١٠٣، طبعة دار القلم.

١٣ الخطيب، تاريخ بغداد، ج١ ص٦٥، تحقيق مصطفى عطا، دار الكتب العلمية.

حاول الخطيب أن يقدم ترجمة كاملة ومختصرة لمن ترجم لهم تتضمن الترجمة: اسمه ونسبه والشهرة التي يعرف بها وشيوخه وتلاميذه وأراء العلماء فيه ويبين رأيه فيه ويذكر إن كان عنده شعر أو رواية، وبيّن مكان وسنة ولادته ومكان وسنة وفاته وفي أي مقبرة دفن.

وعمل الخطيب على نقد وتمحيص الروايات التي بين يديه وبيان أوهام العلماء والمصنفين السابقين وترجيح بين الروايات المتعارضة التي تتعلق مثلا بتاريخ الولادة والوفاة ومكانهما وغيرها من الأمور.

وتميز الخطيب بدقة نقله إذ ينقل النص كما وجده وبعدها يعقب على النص ويصححه. وقد استدرك على عدد من العلماء وبيّن أخطاءهم، وقد ضبط على كبار المصنفين ما شذوا فيه من روايات خالفوا فيها ما اتفق عليه العلماء. وكان يعتني بضبط الأسماء ويميز بين الأسماء المتشابهة ويصوب الأسماء التي وقع فيها خطأ أو تصحيف، وكان أبو بكر الخطيب البغدادي يحيل أحيانا على مؤلفاته الأخرى، وترجم الخطيب للنساء في آخر كتابه، وبعض من ذكرهن كنّ شيخاته وقد سجل سماعه منهنّ، ويعتمد الخطيب في بيان أحوال الرواة المترجمين على أقوال أئمة الجرح والتعديل، وكان يوازن بينها وينقدها ويرد بعضها[١٤].

ولم يترجم في تاريخه للمهندسين والأطباء والحساب والصيادلة والفلكيين والفلاسفة والحكماء، ، ولم يستوعب تراجم رجالات السياسة والإدارة والحرب ولا الأدباء والشعراء والمغنين، بل لم يستوعب تراجم غير المحدثين الذين فاته ذكر بعضهم فاستدركهم عليه ابن النجار وغيره من أصحاب الذيول على "تاريخ بغداد" وذلك لان الخطيب أراد أن يجعله فقط لعلماء الدين وذلك بسبب تكوين شخصيته الغالب عليها الأثر الديني، وخاف من تضخم كتابه أيضا ولذلك لم يذكرهم[١٥].

الحافظ الخطيب وأقواله في الجرح والتعديل:

ولما كان الخطيب واحدا من جهابذة المحدثين في المائة الخامسة للهجرة، فإن أقواله في الجرح والتعديل قد اعتبرت أقصى حدود الاعتبار لا سيما تلك التي أطلقها فيمن أدركهم

---

١٤ الدكتور أكرم ضياء العمري ـ موارد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ـ دار القلم ـ دمشق١٩٧٥، ص٩٨.

١٥ الدكتور أكرم ضياء العمري ـ موارد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ـ دار القلم ـ دمشق١٩٧٥، ص٩١ بتصرف.

من الشيوخ، أو عاصرهم من الأقران، فصارت معينا لا ينضب لمن ألف بعده وعُني ببيان أحوال الرواة، لا سيما الإمام الذهبي في كتبه فحق له أن يقول فيه: "الحافظ الناقد. . . صحح وعلل وجرح وعدل"[١٦]

وكان الخطيب ناقدا ماهرا في علم الجرح والتعديل، وكان يوازن بين الأقوال وبين رأيه ويتعقب كبار النقاد ويصوب أخطاءهم في الأسماء والكنى والألقاب والمواليد والوفيات وما وقع لهم من تصحيف وتحريف في الأسانيد أو المتون.[١٧]

قيمة روايات الخطيب البغدادي ومنزلتها:

استعمل الخطيب الإسناد عند إيراده الروايات وحرص على توثيق المعلومات التي ينقلها بدقة. . وساق أسانيد الأحاديث للتراجم التي ذكرها.

وأشار الدكتور خلدون الأحدب في مقدمة كتابه "زوائد تاريخ بغداد على الكتب الستة" أن الأحاديث التي تفرد الخطيب بروايتها ولم يشاركه فيها أحد من الأئمة الذين سبقوه روايتها أو هو مما شاركهم في روايته، ولكنه رواها بأسانيد معلولة، إنما مردها في الأغلب الأعم إلى حرصه على أن تقع هذه الأحاديث من طرق من ترجم لهم بغض النظر عما تمثله من قيمة، حيث إن هذا مقصوده دون النظر إلى اعتبار آخر. وأضاف إن عدد أحاديث تاريخ بغداد ٤٣٨٥ حديثا وجدت منها ٢١٣٢ حديثا رواه أصحاب الأصول الستة أو بعضهم، أي ما يعادل نصف عدد أحاديث التاريخ تقريبا، والأحاديث التي تفرد بها الخطيب البغدادي والتي غالبيتها من الموضوعات والمناكير والضعيفة ضعفا شديدا قليلة بالنسبة لعدد ما خرجه. والمرتع الخصب لها في المناقب والرقائق ونادرة في أحاديث الأحكام. . وأشار الدكتور الأحدب أن الحافظ الخطيب له إضافات وتنبيهات قيمة أتى بها عقب الأحاديث التي رواها وذكر الطرق التي وردت منها ومن تفرد بها من الرواة وكشف عن المتابعات والشواهد وتعقب رجال أسانيدها ببيان حالهم من الجرح والتعديل وحكم على بعض الأحاديث بالوضع أو النكارة أو

---

[١٦] سير أعلام النبلاء ١٨/٢٧٠.

[١٧] انظر مقدمة تحقيق بشار عواد لكتاب "تاريخ مدينة السلام"١/١١٢.

الغرابة. وجماع القول في ذلك أن قيمة ما يرويه الخطيب وغيره من أمثاله قيمة سنده ولا يصح التعميم بضعف ووضع ونكارة ما يروونه بمجرد العزو إليهم.[١٨]

وذكر الدكتور بشار عواد في مقدمة تحقيقه ل "تاريخ مدينة السلام"أن الخطيب البغدادي أخذ في كثير من المواضع عند الحكم على الرجال بقاعدة سبر حديث المترجَم ليصدر حكما عليه، لا سيما حينما لا يجد جرحا أو تعديلا، أو وجد شيئا من ذلك ثم وجد أن سبر حديثه يدل على غير ذلك. . وأضاف قائلا: إن إيراد الحديث في كتب الرجال كان لغايات محددة تهدف في الأغلب الأعم إلى تقويم حال الراوي جرحا أو تعديلا. وقد ألف البخاري تاريخه الكبير ليكون مظنة لأحوال رجال الحديث جرحا وتعديلا وبيانا لما أخطأوا فيه أو أصابوا، ولم يكن هدفه جمع الحديث أو بيان منزلة كل حديث. وإذا كان الأمر كذلك تبيّن أن لا يستغرب من رواية الأحاديث الواهية والموضوعة في كتب الرجال والتراجم لأن سياقة هذه الأحاديث التالفة في تراجمهم هي المنبئة في كثير من الأحيان عن أحوالهم[١٩].

ذيوله ومختصراته:[٢٠]

اختصر تاريخ بغداد العديد من المؤرخين ومن أبرز من ذيّل عليه:

السمعاني (ت ٥٦٢هـ) وسماه الذيل على تاريخ بغداد.

ثم جاء بعده ذيل أبي عبد الله محمد بن سعيد المعروف بابن الدبيثي (ت 637هـ)، وسماه (ذيل بغداد) وقد لخصه الإمام الذهبي (ت ٧٤٨هـ) وسماه "المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الدبيثي" ثم كتب محب الدين محمد بن محمود المعروف بابن النجار ذيلا على تاريخ الخطيب وسماه (التاريخ المجدد لمدينة السلام وأخبار فضلائها الأعلام ومن وردها من الأعلام) طبعته دار الكتب العلمية، وعنوان الكتاب يشير إلى ما استجد من تراجم بعد تاريخ الخطيب.

---

١٨ ١/٨٧ بتصرف.

١٩ ١/١٦٨ بتصرف

٢٠ أصبح تاريخ الخطيب أصلا لتاريخ بغداد ولم يؤلف أحد بعده في تراجم علماء بغداد في الفترة التي تناولها، بل صار أساسا يبنى عليه فيتمم كلما استجدت فترة زمنية بعده وهو ما يعرف في تاريخ الحركة التأليفية عند المؤرخين بالتذييل. انظر مقدمة بشار عواد في تحقيق "بغداد مدينة السلام"١/١٢٤دار الغرب الإسلامي.

وذيل على ابن النجار أيضاً كل من: تاج الدين علي البغدادي (ت ٦٧٤هـ) وتقي الدين محمد بن رافع السلامي (ت٧٧٤هـ) وسماه (الذيل على ذيل ابن النجار. وذيل عليه أيضاً أبو الحسن محمد ابن احمد القطيفي (ت ٦٣٤هـ) وأيضاً أحمد بن صالح بن شافع الجبلي (ت ٥٦٥هـ)، وهناك ذيل هبة الله بن المبارك السقطي وذيل شجاع بن أبي شجاع الذهلي، أما من اختصره فهما كل من ابن مكرم والإمام الذهبي.[٢١]

أشهر طبعات الكتاب:[٢٢]

تاريخ بغداد أو مدينة السلام، المؤلف: أبو بكر الخطيب البغدادي، عدد الأجزاء: ١٤، سنة النشر: ١٩٣١، الناشر: مكتبة الخانجي: القاهرة، المكتبة العربية: بغداد، مطبعة السعادة: القاهرة. استغرق الكتاب نحو خمسة آلاف صفحة.

تاريخ بغداد أو مدينة السلام، المؤلف: أبو بكر الخطيب البغدادي، تحقيق وطبع أوفست، عدد الأجزاء ١٨، سنة النشر ١٩٨٣، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت.

تاريخ بغداد أو مدينة السلام، المؤلف: أبو بكر الخطيب البغدادي، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، عدد الأجزاء، ٢٤، سنة النشر ١٩٩٧، الطبعة الأولى، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت.

تاريخ مدينة السلام بغداد، المؤلف: أبو بكر الخطيب البغدادي تحقيق: بشار عواد معروف عدد الأجزاء: ١٧، سنة النشر: ٢٠٠١، الطبعة الأولى، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت[٢٣].

---

[٢١] الدكتور أكرم ضياء العمري ـ موارد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ـ دار القلم ـ دمشق١٩٧٥، ص٩٤ بتصرف.

[٢٢] علمت أنه يوجد لدى ورثة احد العلماء بتونس وهو العلامة الشاذلي النيفر رحمه الله نسخة أصلية من كتاب تاريخ بغداد بخط الخطيب البغدادي، وهي بهذا الاعتبار من نوادر المخطوطات في العالم.

[٢٣] أشير إلى أن أحد طلبة العلم في المدينة المنورة وهو دكتور في قسم العقيدة بالجامعة الإسلامية عاكف منذ سنوات على تحقيق كتاب تاريخ بغداد، ويقابل على جميع النسخ التي أشار إليها د. بشار عواد في تحقيقه، مع نسخ أخرى لم يعثر عليها د. بشار، وتحقيقه كما علمت مركز على: ضبط النص وتخريج التراجم بتوسع.

وهي أفضل طبعات الكتاب، إذ يتميز تحقيق الدكتور بشار باستيعاب مخطوطات تاريخ بغداد ومقابلة النسخ وضبط النص والتعليق عليه وتخريج الحديث والحكم عليه تصحيحا أو تضعيفاً، ووضع الفهارس اللازمة لتيسير مادة الكتاب.